

الاداب العربية في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

وكانت العربية في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معززة في انكلترة في كليتي كمبرج واكسفرد. وكان في اكسفرد مطبعة عربية شهيرة نُشرت فيها كتب شرقية متعددة مُخصّص بالذكَر تآليف ادورد بوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤-١٦٩١) وابنه توما. وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدة في حلب ثم دُرُس في اكسفرد ونشر تاريخي الى الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق. ونال الشهرة بين الانكليزي في الشرقيات في خاتمة القرن الثامن كجرايل (J. D. Carlyle) (١٧٥٩-١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثم تولى تدريس العربية في كلية كمبرج. له كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزية ونقل الى اللاتينية قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي. وكذلك اشتهر معاصره يوسف وايت (J. White) (١٧٤٦-١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لأول مرة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثم نقله الى اللاتينية سنة ١٨٠٠ وله غير ذلك

اما الهولنديون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربية على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦-١٦٦٧) وارپنيوس (Erpennius) (١٥٨٤-١٦٢٤) وشولتنس (A. Schulteus) (١٦٨٦-١٧٥٠) وابنه جان جاك (J. J. Schultens) (١٧١٦-١٧٧٨) وكلهم من البرزين جعلوا مدينة ليدن كمنار الاداب الشرقية وبرزوا في مطبعتها الموثقات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتراحم العلماء في اقتنائها ككارينج جرجس ابن المكين المروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد وتاريخ قيسور لنك لابن عربشاه وامثال اليداني ومطبوعات اخرى جليلة. ومن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتما (A. Haisma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينية وذيابها بالحواشي. ومنهم شيد (J. Scheid) (١٧٤٢-١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينية وألف كتاباً في اصول العربية ونشر متخجات ادبية شتى

واشتهر من النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنوا دي دومباي (F. de Dombay) (١٧٥٦-١٨١٠) نشر تاريخاً للعرب ثم اقتطع الى درس احوال مراكش فابرز عدة آثار مختصة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة وتود مراكش وغير ذلك . واصاب الكاهن جان يامن (J. Jahn) (١٧٥٠-١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في فينة وله من التأليف غراماطيق عربي ومعجم عربي لاتيني وجمان اديّة

وكان الدنمبركيون ايضاً قد وجهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر القرن الثامن عشر نيبهر (C. Niebhur) (١٧٣٣-١٨١٤) الذي طاف في أنحاء جزيرة العرب ودون ملحوظاته واجار رحلته في ثلاثة مجلدات اخاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحواله . ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٣-١٨٠٩) خرج من بلاد دنمبرك وتوطن رومية العظمى وصار كاثوليكياً واقطع الى درس الآثار الشرقية لاسياً آثار مصر

ولم ينظف منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصاً الرهبان . ومن عرف منهم الراهب الفرنسي كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠-١٧٩٥) عاش مدة في فلسطين والشام ودرس العربية لمرسلي رهبانيته وقد صنف كتاباً مدرسية في الاسبانية لتعليم العربية . اخذها غراماطيق ومعجم المفردات ومختصر التعليم المسيحي . وفي عهده كان الراهب حنا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠-١٨١٢) ولد في دمشق من ابرين برتغاليين وتخرج على يد المرسلين ثم رحل الى وطنه ودخل الرهبانية الفرنسية وعلم اللغة العربية في لشبونة . ومن مطبوعاته كتاب الاقايض البرتغالية المشتقة من العربية . وكتاب نحو العرب ونصوص عربية لمؤرخي العرب في امور البرتغال وكذلك الايطاليون فانهم لم يسهروا عن درس لغات الشرق وما أثره فربح منهم

شكر العموم غريغوريو روزاريو (R. Gregorio) الكاهن الپالرمي (١٧٥٣-١٨٠٩) الذي تفرغ لدرس آثار صقلية وتاريخها واحوالها لاسياً في أيام العرب فالتف في ذلك التأليف الواسعة في عدة مجلدات ضخمة نخص منها بالذكر كتابه « الآثار العربية في ترايخ صقلية » ضمنه كتابات ونقوشاً واوراقاً غاية في الفائدة - وعرف الكاهن الرحالة ج . ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦-١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام

ومصر ودون اخبار رحلتِ وعنها نقلنا في الشرق (٨: ١٥١ و ١٠١) وصفه لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجمالي عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في أوربة : فان ذلك القرن هو قرن الساعنة الذين أشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفاً للنشاط في تذليل العقبات واحياء مفاخر الشرق . أولهم وامامهم الونسنيور يوسف سمعان السعاني (١٦٨٧-١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أخرى لا تحصى (١٠١) ثم اسطفان عواد السعاني نسيه (١٧٠٩-١٧٨٢) ثم يوسف لويس السعاني (١٧١٠-١٧٨٢) ثم شعون السعاني (١٧٥٢-١٨٢١) وكان كل هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثاراً طيبة من دوحتها الفاخرة تعد تآليفهم بالئات بين مطولة وقصيرة . وكان معظم اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنهم ايضاً اخرجوا من زوايا النسيان عدة تآليف عربية لاسيا في التاريخ والمآثر الدينية والادبية . وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت إلا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر . ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القس ميخائيل الغزي وهو ايضاً من تلامذة الآباء اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السعاني وحضر معه الجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ثم درس اللغات الشرقية وتعين ترجماناً لملك اسبانيا كروس الثالث ومن اعماله الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلدان كبيران يدلان على سعة معارف صاحبهما طبعاً من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينية والعربية - واشتهر منهم ايضاً في فئة عاصمة النسا الحوري انطون عريضة الطرابلسي وعلم فيها اللغات الشرقية وله من التآليف كتاب علم صرف العربية ونحوها وضمه لتلامذته في اللاتينية وطبعه سنة ١٨١٣ في فئة

وفي هذا النظر الموسمي كفاية ليعرف القراء حالة الدروس العربية في منتهى

(١) اطلب ترجمته وجدول تآليفه في برنامج اخريّة القديس مارون للاديب يوسف لقندي خطار غاتم (ص ١٠٥-١١٣) . اطلب ايضاً كتاب سفر الاخبار في سفر الاجار للبحوري يوسف اللبس (٢٠٩-٢١١)

القرن الثامن عشر وإنما يترتب علينا الآن ان نقتص آثار انكبة الذين زينوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بشرات افلامهم ومصنفاتهم وانما نقسم ذلك فصولاً ليسهل على المطالع تتبّع التفاصيل التي نشبها فيحزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من الزايات والاعمال

٣ الآداب العربية في غرة القرن التاسع عشر الى سنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في أيام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضل ملوك عصره دمث الاخلاق مفرماً بالاداب محباً لتربية رعاياه في معارج الفلاح. ثم صار الملك الى ابن اخيه السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضط من بعده سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدته وكان كالسلطان سليم هاتماً بترقي شعبه ساعياً في اسباب نجاحه في فنون الآداب وللشاعر نقولا الترك قوله يوم جلوسه:

توتى التخت سلطان البرايا وابده الاله برتقاء
فصاح الكون لما ارغوه نظام الملك محدود جاه

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفن الطباعة في دار السعادة فطبت فيها عدة تأليف عربية فضلاً عن المصنفات التركية . ويبلغ عدد المصنفات العربية التي نشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيفاً واربعين كتاباً كقاموس المحيط للفيروزآبادي (١٨١١) مع شرحه في التركية وكعاشية السيلكوتي على مطول التفتازاني (١٨١٢) ومرآة الارواح لاحمد بن علي بن محمود مع مجموع تأليف أخرى نحوية وصرفية (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك مما مر لنا ذكره في مقالنا عن فن الطباعة في الاساتذة (المشرق ١٧٤:٣-١٧٦) وفي ملحق تاريخ تركيا للمؤرخ الالمانى هامر (J. de Hammer) جدول هذه الطبوعات كلها في ٩٢ عدداً (اطلب الجلد ١٤ ص ٤٩٢-٥٠٧) . وكان الولاة يساعدون اللاتين الضمام في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كليان باشا في عكا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وكذلك في مصر كان محمد علي باشا راغباً في نشر المعارف فاستعاد الادولت الطبيعية التي كان الفرنسي مرسال اتخذها في أيام بوناپرت وانشأ مطبعة بولات الشهيرة

سنة ١٨٢٢ وكان أول كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطالياني عربي وأُردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الحين في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية (١) إلا أن الكتب العربية المهمة لم تُطبع إلا بعد هذه المدة وإنما جُددت في الغالب المطبوعات المنشورة قبلاً في الاستانة وما يُقال اجمالاً في هذا القسم الأول من القرن التاسع عشر أن الذين اشتهروا فيه كانوا ابناء انفسهم لم يتعلموا في مدارس منظمة بل تفهروا بشغلهم الخاص تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء.

ونبتدئ هنا بذكر انكبة الذين خصوا نفوسهم في تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٢٤٤) الشيخين عبد الله الشراوي وحسين ابن عبد الهادي - ومن يضاف اليهما السيد اسماعيل بن سعد الشهيد بالحشأب المتوفى في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان ولماً بالدروس الادبية واخبر الجبتي في تاريخه (٤: ٢٣٨) « ان الفرساوية عتبه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كل يوم لان القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واما كن احكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص يُرفع في سجالهم بعد ان يطبعوا. ثم نسختا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير مصر من قرى الارياض فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم. فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد يرم كل ما يصدر في المجلس من امر او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة فلم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم » هذه كما ترى جريدة يومية وهي اول جريدة ظهرت في العربية وكان الجبتي رأى منها عدة كرايس . وذكر ايضاً لاسماعيل الحشأب ديوان شعر صغير الحجم جمعه صديقه الشيخ حسن الهطار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلامة عبد الله بن حسن الجبتي وُلد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣-١٧٥٤) كما ذكر في تاريخه (١: ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث

له في صباه وكان من طلبة الازهر . جملة بونايرت من كتبه الديوان فاحرز له عند الجميع لساناً طيباً . واقطع الى الكتابة والتأليف . وفي آخر حياته قُتل احد اولاده في حي شبرا فبكاه بكاءً مرّاً اققده البصر ولم يلبث ان تبعه في القبر . وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الحديوية (٨٣ : ٥) انه توفي مخنوقاً في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) . وقد جعل السيو هوارت في تاريخ الآداب العربية (١) مولده سنة ١٧٥٦ ووفاته سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط . لما تأريخه فيدعي عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمنه حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واولئل الثالث عشر جاريّاً في ذلك على سيات السنين منذ فتح السلطان الغازي سليم خان الاول للقطر المصري الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكراً للوقائع المتبعة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيه قسماً كبيراً من تاريخ آخر وصف فيه وقائع بعثة بونايرت الى مصر دعاه « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين » كتبه سنة ١٢١٦ (١٨٠٢) . وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسية منذ عهد قريب بيّنة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد الميز كجيل بك وجبرائيل نغولا كجيل بك واسكندر بك عمون . وقد ترجمه الفرنسيون كاردن (A. Cardin) تأليفه الآخر مظهر التقديس

ومتن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزباني كان من عمال مراکش متولياً على مدينة وجدة . ثم اعتزل الاشغال في تلمسان وألّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المرّيب عن دول المشرق والمغرب طبع منه الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسي قسماً منه يتناول تاريخ مراکش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ . والباقي لا يزال مخطوطاً . وله كذلك كتاب البستان الطريف في دولة مولاي علي الشريف

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء . بعض التواريخ يدرّب علينا ذكر اصحابها . واول من اشتهر في ذلك القس حنائياً المتبر احد رهبان الرهبانية الحنّارية الشورية . ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ . وترهب سنة ١٧٧٤ . لما بقيت اخباره في الرهبانية فلا نعلم منها شيئاً كما اننا نجهد سنة وفاته . ونمّا يظهر من ما أثره ومصنّفاته انه كان رجلاً اديباً كثير الاطلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بظنون الكتابة يُحسن النثر والشعر . وكان ذلك نادراً في زمانه . وقد نصت عنه في كتاب له

عن الدرور بالطبيب ما يدل على أنه كان يتعاطى الطب. أما أخص تأليفه فتاريخان الأول مدني سبق لنا وصفه في المشرق (٤: ٤٢٨ و ١٩٢٢) وهو تاريخ الدرّ الموصوف في حوادث الشرف أثبتنا منه مقدّمته وبعض فقراته. وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩ هـ (١٦١٢ م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة. وهذا التاريخ قد استفاد منه الامير حيدر الشهابي في تاريخه الشهير المعروف بالقرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

أما التاريخ الثاني فهو تاريخ ديني قد جمع فيه المؤلف اخبار الرهبانية الحناوية منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م). وليس هذا التاريخ كله دينياً فان فيه ايضاً اموراً عديدة تختص باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصري. وانكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكنا الحصول على نسخة منها فاستنسخناهما لكتبتنا الشرقية. ولابن المنير ذلك من التأليف الشعرية والادبية نذكرها في باب الأدب (له بقية)

أثر جديد لأعمال القديس جرجس الشهيد

بنذة للاب لوبس شيخو البسوي

كبتنا في المشرق (٦: ٣٨٥ و ٥٢٦) مقالة عن القديس جرجس الشهيد العظيم في نسبة المئة الثالثة عشرة من استشهاده. وقلنا هناك ان غاية ما يعرف من امر هذا القديس انه مات شهيداً في عهد ديوقليانوس قيصر في اوائل القرن الرابع للمسيح. ثم اثبتنا ملخص قصته الشامة في سورية وما بين النهرين وقتله للتين في بيروت. لكن لهذا القديس قصة اخرى مختلفة جداً عما روينا سابقاً تجدها مسطرة في منكار الاقباط. ولهم في ذلك خطبة يتلونها يوم عيد في ١٨ برصبات دونها في المشرق (٦: ٣٩٣) وفي هذه الخطبة لشارة الى عجائب ومعجزات كلها من الغرابة في مكان. ومما يجدر بنا ذكره لن القصّة كما هي مزبورة في تلك الخطبة قد شاعت بين العرب فرواها احد قلماء مؤرخيهم الصدودين وهو ابن جوير الطبري في تاريخه